

أشكر، باسم عائلة المعهد اللاهوتي، حضرة الأستاذ أيلي خوري الذي تفضل وأوكل إلينا نشر مؤلفه الموسيقي الأبحان الثمانية: الجزء الرابع - الميناون. هذا الكتاب هو حصيلة عوامل عدة منها: خبرة السنوات الطويلة، المعرفة المقتدرة بفن الموسيقى وأصول الترتيل، الغيرة الملتهبة، التقوى المميزة، النوق الرفيع وانحس المرهف بالفن والكلمة. وعلاوة عليها الخلق المسيحي العالي. وهذه كلها حين تجتمع معاً، كما في شخص الأستاذ أيلي، تخلق التمسيح السانم والنعمة الجميل، هذه هي مؤهلات المرث والمحن الكنسي.

تتمتع أبحان الأستاذ أيلي بحرية التأليف حيث يأتي النحن من الهام القنب المعصلي وليس من ترجمة تتكسر فيها روابط السطر الموسيقي بالسطر اللغوي. ويفقد بذلك الأول تعبيره عن الثاني. وإنما عنده يبقى الفن في خدمة الكلمة: ويتمثلي الخط الموسيقي مع الجمل العربيّة مراعيّاً لخصائص اللفظية والمعنوية فيها.

منذ القديم كان للموسيقى في العالم الشرقي معنى خاص. وكان دور الموسيقى فريداً. ومن هذا العالم تبنت الكنيسة هذا الفن وعمقه ونمته وقادته أخيراً إلى غايته الحقيقية.

الموسيقار ليس العازف وحسب! بل هو من يوصل الكلمة من الفم البشري بواسطة النحن، إلى الأذن الإلهية. فهو بكلمة أخرى كاهن أو وسيط بين الله والبشر.

بما أن الكلمة المقروءة لا تستطيع أن تحمل حجم المشاعر ولا تقي بكل التعبير. يأتي الموسيقار ويوحيها بلباس النحن لتستطيع أن تتخل به إلى الخنر السماوي. فيعطي هكذا بالنعمة جناحين للكلمة. فالموسيقى هي رداء الكلمة.

من هنا ندرك أهمية خضوع السطر الموسيقي لإبحاءات الكلمة وضرورة مراعاة الشروط اللغوية واللفظية. فالموسيقى هي الأداة التي تسهل تحويل الكلمة إلى صلاة، إنها إذا ليست فناً بحتاً بقدر ما هي رسالة إلهية.

من هذا يأتي كتاب الأستاذ أيبي خوري مثلاً يحتذى للتلاميذ. لقد أظهرت الأجيال الشبانية في أيامنا غير واندفاعاً على تعلم الموسيقى ونشرها، لكنها اعتادت غالباً على لون واحد من التويط. وهذا اللون، للأستاذ متري المر، على أهميته وعناه وعظمته يجب أن لا يكون حتماً أو نهاية. إن تنوع الألوان يقودنا إلى تفهم الأعمق للأحزان. والتعدد في المنهج يساعد على التوسع في الأبعاد. لذلك حاولتنا لنشر هذا الكتاب تبتغي، من خلال نشر سطور جديدة مغايرة لما هو مألوف، إلى حدّ شابنا والمرتلين على التجديد والتويط والتعبير بحرية. ما نسميه "كلاسيكي" كان في لحظة ما، في زمنه 'جديداً'. والتجديد الذي ندعو إليه لا يقصد إفساد الموجود والخروج عن روح التقليد إنما العمل بهذه الروح عينها لإبداع جديد وإغناء التراث. التجديد القائم على المعرفة يرفع البناء الذي بدأ المعرفة ليست نهاية بل بداية؛ إنها التجنوز العميقة التي سترفع الشجرة وتعني الثمار. المعرفة هي قاعدة الإبداع، والإبداع حياة المعرفة.

إصدار هذا الكتاب يسعى أيضاً إلى حفظ وتويط تراثنا الشرقي الأنطاكي وتجميعه. إن الأستاذ أيبي، رغم شخصيته الخاصة ونونه الفريد، يبقى الأقرب إلى الأستاذ اندراوس معيقل ويحفظ لنا جزءاً متميزاً من تراثنا.

في الختام أوجه الشكر إلى جميع الذين ساهموا في إعداد هذا الكتاب سائلاً لهم ولنا بركات مولانا صاحب الغبطة البيطريك إغناطيوس الرابع الكلي الطوبى والجزيل الاحترام الذي بركاته تظلل المعهد، ونرجو أن نكون في منحنى توجيهاته دائماً.

الأول من تموز ٢٠٠٠

البلمند، عيد القديسين قرما ودميانوس

العميد

الأرشمندريت بولس يازجي